نامية ذات امتداد . وواضح فى ضوء التحليل أن جمل الحال المنفية فى الشواهد والامثلة التالية ترتد بعد اطراح النواسخ الى جمل منفية بسيطة : اسمية او فعلية ، ومن امثلة هذه الظاهرة ذات الدلالة الاضافية الخاصة :

— فى التنزيل : (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟) (244)

— وفى مقامات البديع : « .. ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم » (245)

— وفى زقاق المدق : « .. اهمله وكأنه لم يعد يشعر له بوجود » (246)

— وفى نقدات عابر : « .. تركته (..) وكأنها لم تفعل .. » (247) .

— وللطيب صالح : « ذهب محجوب كأنه لم يسمع » (248) .

— ولفدوى طوقان :

ويمضى (249) كما
كان ، كأن لم تثنه محنة (250)

— 2 —

وتقع الحال مشتبهة بالخبر والصفة ؛ ذلك انها تستعمل على انحاء تحتمل الحال والخبر حينا، وتحتمل الحال والصفة حينا آخر . وهذا يؤيد ما لحظته النحويون من الشبه بين الحال والخبر والنعت من وجوه أخرى (251) . ولكنه ، هنا ، ذو اهمية استدلالية خاصة ؛ لان الحال المشتبهة بالخبر ؛ والحال المشتبهة بالصفة جاءتا نفيا ، فاذا كان ذلك كذلك دل على ان نفى الحال مثل نفى الخبر ونفى الصفة وليس النفى فى الخبر والصفة بمحل إنكار !

فمن وقوع الحال منفية مشتبهة بخبر منفى :

— ما روي « عن جابر رضى الله عنه قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وانا مريض **لا اعقل** فتوضأ وصب عَلَيَّ من وضوئه فعقلت » (252).

— وما روي « عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما انا قاسم والله عز وجل يعطى . ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله **لا يضرهم** من خالفهم حتى يأتى امر الله » (253)

ومن وقوع الحال منفية مشتبهة بصفة منفية :

---

244) النساء 78
245) شرح مقامات بديع الزمان ص 11
246) ص 203 ، وانظر امثلة اخرى فى زقاق المدق : ص 237 ، 89،8 ، 133 ، 174 ، 183 ، 193 ، 219 ، 172
247) ص 62
248) بندرشاه ضو البيت ص 13
249) الغصن وفقا للسياق
250) وجدتها ص 38
251) انظر : كتاب سيبويه (هارون) 49/2 والمقتضب 261/3 واوضح المسالك 96/2 والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل 464/1 .
252) التجريد الصريح 26/1
253) المصدر السابق 16/1

— قوله تعالى : (لابثين فيها احقابا ، **لا يذوقون** فيها بردا ولا شرابا) (254) .

— وفى الاثر : (.. مَنْ توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلّى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفِر له ما تقدم من ذنبه) (255)

— وفيه : (عن ابى سعيد الخدريّ رضى الله عنه انه قال : نَهَى النبى صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصّماء وان يحتبى الرجل فى ثوب واحد ليس على فرجه منه شىء) (256) .

— وفيه : (عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلنا للنبى صلى الله عليه وسلم إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرونا ..) (257)

— 3 —

ومن مظاهر اصالة النفى فى الحال انها تتخذ صيغا ظاهرها النفى ولكنها استحالت انماطا ثابتة دلالتها الايجاب . ومن ذلك وقوع جملة (لا تلوي) (258) حالا على سعة وكثرة ، كما تقدم فى وقوع الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) حالا . ومنه وقوع جملة (ما زال) حالا ، كما فى :

— مرّ عامان وما زال الهوى حلما غريبا (259)

— « فنظرت الى تحت ، فرايت الشاب المتلبط الجريدة ، وما زال يحمل فاسه » (260) .

ولعل من هذا الباب ، فى دلالته على اصالة النفى فى الحال وامتداداته وتغلغله ، وقوعَ جملة النفى المنتقض نفيها بإلاّ حالا ، وذلك كما فى :

— (.. خرج فى سبيله لا يُخْرِجُهُ إلاّ إيمانٌ بي وتصديق برسلي ..) (261) .

— (عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا لا نرى إلاّ الحجّ ..) (262) .

— « ثم جاء الخلف فزادوا هذه البحور شيئا فشيئا لا يهديهم فى الابتكار إلا الاذن الموسيقية » (263) .

— « تركته معلّقا بحبال الهواء لم تدع له الا رسالة من ثلاثة اسطر ..) (264) .

— وسنبقى هناك نمشى ولا نعلم الا شيئا يحسّه قلبانا (265)

ولعل من هذا ايضا ما ارى من وقوع الحال منفية مسبوقة بشرط ؛ فاني ارى فيما يلى جملا حالية :

— (.. ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم وان لم تكونوا جُنُباً ..) (266) .

---

254) النبا 3 — 24 . وانظر فى احتمال (لا يذوقون) الحال من ضمير (لابثين) والنعت لـ (احقاب) : مشكل اعراب القرآن 451/2

255) التجريد الصريح 24/1

256) المصدر السابق 38/1

257) المصدر نفسه 149/1

258) انظر فى بعض امثلتها تذكرة : زقاق المدق ص 19 ، 85 ، 92 ، 218

259) وجدتها ص 173

260) الوقائع الغريبة ص 205

261) التجريد الصريح 11/1

262) المصدر السابق 31/1

263) فيض الخاطر 23/10 ، وانظر مثله فى المرجع نفسه 90/10

264) نقدات عابر ص 58

265) وجدتها ص 52.

266) التجريد الصريح 70/1

— أَوْلي وفاءً وإنْ لم تبذلي صلةً .. .. (267)

— « .. ومن اجل هذا امكن الأديب اذا عُرِض عليه نَوْع من الادب ، ان يعرف عصره ولو لم يعرف قائله .. » (268)

وارى حرف الشرط (إن ، لو) يفيد فى الحال المنفية معنى إضافيًا .

امّا مَنْع النحويين لوقوع أداة الشرط فى جملة الحال (269) فاغلب الظن أن مرجعه الى اعتبارهم اداة الشرط دليل استقبال يغاير زمانُها زمنَ عامل الحال ولا يجري معه . والحق انّ ملحظ الزمان ليس مطلقا فى العربية ؛ ذلك انه يتعين وفقا للملابسات والقرائن التى تكتنف الفعل وعبارته (270) .

ولعل مما يؤيد القول بالحاليّة فى الجمل المتقدمة انّ ابناء العربية يسيغون الجمل التالية ، كل جملتين على حدّ سواء (271) :

1 — هل يَحْضُر (...) ولم يُدْعَ ؟

2 — هل يَحْضُر (...) وإن لم يُدْعَ ؟

*

3 — سيتخرّج (...) هذا العامَ ولم يبلغ العشرين .

4 — سيتخرّج (...) هذا العام وان لم يبلغ العشرين .

ويلحظون الحاليّة فى الاولى والثالثة ، ويلحظون الحاليّة مع معنى إضافي فى الثانية والرابعة .

وإخال ما تقدم ، على مستوى القواعد والسماع والاستعمال ، ينهض دليلا ثابتا على انّ الحال ، فى العربية ، تقع منفية بغلبة ظاهرة .

ولكنه يبدو لي ايضا ، على مستوى النظر ، انّ مجيء الحال منفية ظاهرةً نحوية شانها شان سائر الظواهر النحوية فى انها تنضبط باصول . ويبدو لي ، فى ضوء التحليل ، انّ اهمّ الاصول التى تنضبط بها هذه الظاهرة اصلان : اولهما عاملُ الحال وخاصة دلالتَه وَوَجْهَ العلاقة بينها وبين دلالة الحال ؛ هل تجريان معا على وجه الايجاب ام على وجه السلب ام بين بين . والثانى : السياق ، سياق الجملة فى النصّ او فى الموقف الكلاميّ .

فمن امثلة الاصل الاول أنّنا نقول :

— لبث حينا يتكلّم

— لبث حينا لا يتكلّم

على مستوى واحد من القبول لجريان دلالة (اللبث) مع حال التكلم وعدمه. وكذلك نقول :

— ما بال اخيك يهادن كلّ احد ؟

— ما بال اخيك لا يهادن احدا ؟

على مستوى واحد من الصواب السائغ ؛ لجريان هذا الضرب من السؤال مع التعميم نفيا واثباتا .

ونقول :

— صافحته يبكي

ثم نستبدل بالفعل (عهدته) فنقول :

— عهدته لا يبكي

---

267) المختارات السائرة ص 126 ، وهو صدر بيت لابن زيدون

268) فيض الخاطر 2/10

269) انظر فى هذا : النحو الوافى لعباس حسن 311/2

270) وانظر فى هذا : الفعل زمانه وابنيته لابراهيم السامرائى 34 ، 52

271) ويمكن لابناء العربية ، بيسر السليقة ، ان يستظهروا لكل من هذه الجمل سياقا مخصوصا مناسبا .

فتكون الجملتان سواء فى الاستقامة على مقاييس العربية ؛ نظرا لاختلاف الفعل من تلك الجهة، جهة الدلالة وانسجامها بين الفعل والحال .

وعلى هذا يسوغ لنا ان نقول على حد سواء فى القبول :

— عاش حياته يقدر على كل ما يريد .
— سقط على الارض لا يقدر على الحركة .

فاذا بدا لبعض الناس ان جملة (جاء — لا يبكى) على هذا النحو المجرد تجعل الحال المنفية كأنها لا تنطوي على اية فائدة فلا يسوغ فيها وقوع الحال نفيا ، فانه يبدو لنا أن الاتساع بهذه الجملة الى سياق مخصوص يجعلها صحيحة تماما ، مفيدة فائدة تامة ، مقبولة بلا تحفظ . فمثلا : اذا كان الابوان فى معرض الحديث عن ولدهما ، اول عهده بالمدرسة وانه كان يعود منها باكيا فى كل مرة ، وقال احدهما فى معرض المراجعة والتذكر : هل حدث انه عاد يوما من المدرسة لا يبكى ؟ كان وقوع الحال نفيا فى جملته من هذا السياق هو الوجه ، عربيّا جيّدا .

ومن امثلة هذا الاصل الثاني ، السياق ، اننا نقول فى موقف معين :

— ثم عاش (..) ، سائر عمره ، يسمع انتقادات الناس لحكمه فلا يحير جوابا .

ونقول ، فى سياق آخر يسهل تصوره :

— وعاش (..) بينهم لا يسمع إشارة الى ما فرط منه البتة . وكذلك نقول على تعاقب سياقين :

— ثم اقامت (..) بعد ذلك دهرا تبكي إخوتها .
— واقامت (..) فيهم لا تبكي ، تجلدا واقتناصا للخبر عن القاتل .

ونقول ايضا :

— اقام (..) فيهم يسأل عن كل صغيرة وكبيرة.
— اقام (..) فيهم لا يسأل عن شيء .

بل إنه — فى نطاق بعض التراكيب النمطية — يعانى الاثبات ما يعانى النفى من التحفظ عليه وعدم إساغته فى جمل محدودة موضوعة على التحكّم خارج سياق كامل . فمن ذلك اننا نقول :

— دخل البيت يجر رجليه
مقبولا مستساغا ، فاذا قلنا :
— دخل البيت لا يجر رجليه
كان ذلك — بهذا الاقتضاب — كالاخبار بما لا داعى له ولا فائدة منه . لكننا نقول بازاء ذلك :
— دخل البيت لا يقوى على التقاط انفاسه ، سائغا مقبولا ، فاذا قلنا :
— دخل البيت يقوي على التقاط انفاسه ، كان كمثل تحصيل الحاصل فضولا مستقبحا مرذولا .

وقد اجتهدت ان امتحن قياسية وقوع الحال نفيا ، فاتخذت طائفة من الافعال تتراوح بين افعال الحسّ (تذوّق ، استمع ، نظر ، تحسّس ، شمّ) وافعال العلاج فى اتجاهات مختلفة (رفع ، خفض ، وقف ، سار ، انحنى) وافعال العلاج فى الصنائع (حرث ، زرع ، نسج) ، وتستوعب امثلة من الفعل ماضيا مجردا (نظر ، شم ، رفع، خفض..الخ) ومزيدا (انلس ، قوض ، اندفع ، انتهز ، استقبل) ومضارعا مجرّدا (يلعن ، يأمن) ومزيدا (يُسَلِّم ، ينطلق ، يستأذن ، يتساءل) . وأقمتُ على هذه الافعال جملا جهدت أن اضمّنها الحال مفردة وجملة وشبه جملة على وجهي الاثبات والنفي فى كل ، وفقا لما تهدي اليه قواعد النحو ، ومعطيات السليقة العربية والف الاستعمال الجاري ، فاستوى لي من ذلك الجمل التالية :

1) — تذوّق (..) الطعامَ يقصد الى انتقاد طابخه
— تذوّق (..) الطعامَ لا يقصد الى انتقاد طابخه
— تذوّق (..) الطعام كلفا بنه
— تذوّق (..) الطعام لا كلفا به
— تذوّق (..) الطعام بشهية
— تذوّق (..) الطعام بلا شهية

2) — استمع (..) الى المعزوفة وهو يعرف انها مسروقة
— استمع (..) الى المعزوفة وهو لا يعرف انها مسروقة
— استمع (..) الى المعزوفة مستغرقا
— استمع (..) الى المعزوفة غير مستغرق
— استمع (..) الى المعزوفة بتنبّه
— استمع (..) الى المعزوفة بلا تنبّه

— نظر (٠٠) اليه وقد اقتحم الباب
— نظر (٠٠) اليه ولمّا يقتحم الباب
— نظر (٠٠) اليه باستخفاف
— نظر (٠٠) اليه بغير استخفاف
— نظر (٠٠) اليه متسائلا
— نظر (٠٠) اليه لا متسائلا ، بل مستجيبا

4) — تحسّس (٠٠) جسمه متألّما
— تحسّس (٠٠) جسمه لا متألّما بل متفقّداً موضع الاصابة .
— تحسّس (٠٠) جسمه يعرف ان به إصابة بليغة
— تحسّس (٠٠) جسمه لا يعرف انّ به إصابة بليغة
— تحسّس (٠٠) جسمه بتراخٍ
— تحسّس (٠٠) جسمه بلا تراخٍ

5) — شمّ (٠٠) البرتقالة مغتبطا
— شمّ (٠٠) البرتقالة لا مغتبطا بل محزونا
— شمّ (٠٠) البرتقالة يعرف انها خرجت من ارضه
— شمّ (٠٠) البرتقالة لا يعرف انها خرجت من ارضه
— شمّ (٠٠) البرتقالة بسعادة
— شمّ (٠٠) البرتقالة بلا سعادة

6) — رفع (٠٠) يده يعني انّ هذه الحركة تجمل خصمه يجفل .
— رفع (٠٠) يده لا يعني انّ هذه الحركة تجمل خصمه يجفل .
— رفع (٠٠) يده غاضبا
— رفع (٠٠) يده لا غاضبا ولا محيّيا
— رفع (٠٠) يده بعصبيّة
— رفع (٠٠) يده بلا عصبيّة

7) — خفض (٠٠) بصره مستحييا
— خفض (٠٠) بصره لا مستحييا بل خجلا
— خفّض (٠٠) بصره يفكّر في شيء
— خفض (٠٠) بصره لا يفكر في شيء
— خفض (٠٠) بصره واذناه تسمعان
— خفض (٠٠) بصره واذناه لا تسمعان
— خفض (٠٠) بصره باستحياء
— خفض (٠٠) بصره بلا استحياء

8) — وقف (٠٠) يتلفّت
— وقف (٠٠) لا يتلفّت
— وقف (٠٠) متحديا
— وقف (٠٠) لا متحديا بل ملتمسا شيئا من الراحة
— وقف (٠٠) في دهشة
— وقف (٠٠) في غير دهشة

9) — سار (٠٠) متمهّلا
— سار (٠٠) لا متمهّلا بل مفذّا
— سار (٠٠) يقصد التمرين
— سار (٠٠٠) لا يقصد التمرين
— سار (٠٠) وقد توقّفت السيّارات
— سار (٠٠) ولمّا تتوقّف السيّارات

10) — انحنى (٠٠) متواضعا
— انحنى (٠٠) لا متواضعا بل مهتبلا فرصة غدر
— انحنى (٠٠) يقصد الاعتذار
— انحنى (٠٠) لا يقصد الاعتذار
— انحنى (٠٠) بادب
— انحنى (٠٠) بلا ادب

11) — حرث (٠٠) ارضه وهو يؤمّل ان ياكل من ثمرها
— حرث (٠٠) أرضه وهو لا يؤمّل ان ياكل من ثمرها
— حرث (٠٠) ارضه بامل
— حرث (٠٠) ارضه بلا أمل
— حرث (٠٠) أرضه مستمتعا
— حرث (٠٠) ارضه لا مستمتعا بل ملتزما بحقّها عليه

12) — زرع (٠٠) ارضه مُستَنتِجَها
— زرع (٠٠) ارضه لا مستنتجها بل مُستمتعا بزرعها
— زرع (٠٠) ارضه ينتظر المطر
— زرع (٠٠) ارضه لا ينتظر المطر
— زرع (٠٠) أرضه بعناية
— زرع (٠٠) ارضه بلا عناية

13) — نسج (٠٠) الثوب مهتمّا بإتقانه
— نسج (٠٠) الثوب لا مهتمّا بإتقانه بل معنيا بسرعة إنجازه

— نسج (٠٠) الثوب يلتفت يمنة ويسرة
— نسج (٠٠) الثوب لم يلتفت يمنة او يسرة
— نسج (٠٠) الثوب باصول
— نسج (٠٠) الثوب بلا اصول

14) — افلس (٠٠) يائسا
— افلس (٠٠) لا يائسا بل متحفّزاً لِتدارُكِ ما فَرَطَ منه
— افلس (٠٠) وهو يدرك اسباب إفلاسه بوضوح
— افلس (٠٠) وهو لا يدرك اسباب إفلاسه بوضوح
— افلس (٠٠) بكرامة
— افلس (٠٠) بلا كرامة

15) — قوّض (٠٠) أركان النظرية يلتمس نظرية اشمل
— قوّض (٠٠) اركانَ النظرية لا يلتمس نظرية اشمل ٠٠
— قوّض (٠٠) أركان النظرية قاصدا الى الهدم
— قوّض (٠٠) اركانَ النظرية لا قاصدا الى الهدم
— قوّض (٠٠) أركان النظرية فى رفق
— قوّض (٠٠) أركان النظرية فى غير رفق

16) — اندفع (٠٠) متهوّرا
— اندفع (٠٠) لا متهوّرا
— اندفع (٠٠) يطمع أن يظفر بشىء
— اندفع (٠٠) لا يطمع أن يظفر بشىء
— اندفع (٠٠) بتمكّن
— اندفع (٠٠) بلا تمكّن

17) — انتهز (٠٠) الفرصة مستغلاً
— انتهز (٠٠) الفرصة لا مستغلاً بل مجتهدا مستقيما
— انتهز (٠٠) الفرصة يردّ حقّا لمظلوم
— انتهز (٠٠) الفرصة لا يردّ حقّا لمظلوم
— انتهز (٠٠) الفرصة على نيّة خبيثة
— انتهز (٠٠) الفرصة على غير نيّة خبيثة

18) — استقبل (٠٠) ضيفه فاترا متثاقلا ٠
— استقبل (٠٠) ضيفه لا فاترا ولا متثاقلا
— استقبل (٠٠) ضيفه بفتور وتثاقل ٠
— استقبل (٠٠) ضيفه بلا فتور ولا تثاقل
— استقبل (٠٠) ضيفه بجامله
— استقبل (٠٠) ضيفه لم يجامله
— استقبل (٠٠) ضيفه على محيّاه مسحة من كآبة
— استقبل (٠٠) ضيفه ليس على محيّاه مسحة من كآبة

19) — يلعن (٠٠) الدنيا كارها لها
— يلعن (٠٠) الدنيا لا كارها لها بل مستزيدا ٠٠
— يلعن (٠٠) الدنيا يلتمس لديها حظّاً اوفر ٠٠
— يلعن (٠٠) الدنيا لا يلتمس لديها حظّاً اوفر بل يَنْتَقِمُ منها ماجَرّت به عليه ٠
— يلعن (٠٠) الدنيا وقد ابتلى بِحَدَثانِها
— يلعن (٠٠) الدنيا ولم يبتل بحدثانها

20) — يامن (٠٠) الدنيا غافلا
— يامن (٠٠) الدنيا لا غافلا بل مسلّما لنواميسها
— يامن (٠٠) الدنيا وهو فى اهله وولده ٠
— يامن (٠٠) الدنيا وليس فى اهله وولده
— يامن (٠٠) الدنيا عن عقيدة
— يامن (٠٠) الدنيا عن غير عقيدة ٠

21) — يُسَلِّمُ (٠٠) على انداده مستعليا
— يُسَلِّمُ (٠٠) على انداده لا مستعليا بل جاريا على عادته
— يسلّم (٠٠) على انداده وهو يعرف اثر طريقته فى السلام فى انفسهم ٠
— يسلّم (٠٠) على انداده وهو لا يعرف اثر طريقته فى السلام فى انفسهم
— يسلم (٠٠) على انداده بثقة
— يسلم (٠٠) على انداده بلا ثقة

22) — ينطلق (٠٠) الى غايته يتعثّر
— ينطلق (٠٠) الى غايته لا يتعثّر
— ينطلق (٠٠) الى غايته بخطّة محكمة يضعها
— ينطلق (٠٠) الى غايته بلا خطة محكمة يضعها
— ينطلق (٠٠) الى غايته جادّا
— ينطلق (٠٠) الى غايته غير جادّ

23) — يستاذن (...) فى الدخول متأدّبا
— يستاذن (٠٠) فى الدخول لا متأدّبا بل متهكّما
— يستاذن (٠٠) فى الدخول يتوقّع ان يؤذَن له
— يستاذن (٠٠) فى الدخول لا يتوقّع ان يؤذَن له

— يستأذن (··) فى الدخول بأدب
— يستأذن (··) فى الدخول بلا أدب .

24) — يتساءل (··) عن السبب متجاهلا
— يتساءل (··) عن السبب لا متجاهلا بل مستعلما
— يتساءل (··) عن السبب وهو يعرفه
— يتساءل (··) عن السبب وهو لا يعرفه
— يتساءل (··) عن السبب بوعي
— يتساءل (··) عن السبب بلا وعي

ولا شك انّ فى هذه الجمل الموضوعة تحكّما بقدر. ولا ريب انّ فى سياقاتها نَقْصاً من نوع ما . ولكنى ارجو ان تكون ، على العموم ، محلّ قبول لدى ابناء العربية . فاذا كان ذلك كذلك فانه يمكن لي ان اقرّر انّ وقوع الحال نفيا يشبه ان يكون قياسا ، لا يعترضه الا ما يعترض غيره من الاقيسة بين الممكن ، على مستوى النظر ، والمستعمل ، على صعيد الواقع ، وتلك هى الإشكالية التى لم تَعُدْ مشكلة !

وقد تكون الحال المنفيةُ لفظا كالبديل عن الحال المشتملة على النفي دلالةً . وذلك تعاقُبُ (نجهل) و (لا ندري) فى بيتي ندوى طوقان :

وسنمشي ونحن نجهل من يدفعنا
فى المدى وما سنلاقي
وسنمشي معا بعيدا ولا ندري
متى ينتهي الطريق الوثير (272)

وقد يعطف النفي على الاثبات ، فتقع الحال منفية معطوفة ، ومن ذلك :
— حديث انس رضى الله عنه : (فَالْقوا فى الحَرّة يَسْتَسقون فلا يُسْقَوْن) (273) .
— وقول البديع : « الا تعجبون ممّن ينامُ وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت » (274) .

— وفى الخبر عن كسرى انو شروان انه قيل له: « ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فيحتمله ولا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟ .. » (275).
— وفى عبارة احمد امين : « وتعصّب قوم للقديم يذودون عنه ويحافظون عليه ، ولا يسمحون بأي تغيير فيه » (276) .

ومع ان النفى هنا يأتى عقب الاثبات ولا يأتى حالا ابتداء فانه يأتى قريع الاثبات من جهة ويصلح لأن يقع حالا من غير ان يتكىء على الاثبات . ويمكن لنا ان نمتحن ذلك باطّراح المثبت مما تقدم ، واذن تبقى النصوص هكذا : (ألقوا فى الحرّة .. لا يُسْقَوْن) (الا تعجبون ممّن ينام .. ولا يرجو الفوت) (ما بال الرجل .. لا يحتمل مجالسة الثقلاء ؟) (وتعصّب قوم للقديم .. لا يسمحون بأيّ تغيير فيه) .

وقد عَرَضَ التقابل بين الاثبات والنفى ، على مستوى الاستعمال الجاري فى العربية ، بصورة مطلقة وذلك فى مواضع اكتملت لها الشروط الدلالية والسياقية .

وتتخذ الحال فى هذه المواضع انحاء بختلفة ؛ فمنها انها جاءت جملة فعلية منفية بإزاء جملة فعلية مثبتة ، كما فى الحديث :

— (عن ابى ذرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتاني آت من ربي فاخبرني ، او قال بشّرني **انه من مات من امّتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنّة** ، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق) .
— (عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **من مات يشرك بالله شيئا دخل النار** ، وقلت انا : من **مات لا يشرك بالله شيئا دخل** الجنة) (277).

---

272) وجدتها ص 51
273) التجريد الصريح 28/1
274) شرح مقامات بديع الزمان ص 176
275) جريدة الدستور ، العدد 4314 ، ص 11
276) فيض الخاطر 1/10 وانظر مثل هذا ايضا فى المرجع نفسه 84/10
277) التجريد الصريح 85/1 — 86

— وفى القصص المعاصر : « ثم ارسلت بناظريها من خلال الخصاص ترى ولا تُرى » (278)

ووقع التقابل بين جملة فعلية مثبتة وجملة اسمية خبرها تلك الجملة الفعلية نفسها منفية ، وذلك :

— وفى كلام احمد امين : « .. إن شئت فوازن بين ما يدرسه الطالب فى المدارس الثانوية او العالية فى الادبين ، فهو فى الادب الغربى يدرس شكسبير وامثاله فيجد موضوعا شيقا (!!) يمثل حالة من الحالات التى تتصل بنفسه وتمس حياته الاجتماعية بقدرما، قد صيغت فى قالب فني رشيق ، فخرج من الدرس يحبّها ويحبّ موضوعها .

اما فى الادب العربى فيدرس مختارات من جرير والفرزدق والأخطل او مختارات من مقامات البديع والحريري او نحو ذلك ، وهذه كلها لا تمثل ناحية اجتماعية يحياها او ما يقرب منها ، ولا فكرة عميقة حللت تحليلا (279) واسعا ، لذلك يخرج منها وهو لا يحبّها او على الاقل يكون على الحياد منها » (279) .

وجاءت الحال جملة اسمية خبرها جملة فعلية منفية بازاء جملة اسمية خبرها جملة فعلية مثبتة على لتماثل وإمكان التبادل ، وذلك :

— « وكان يتفحّصها بنظر ثاقب ، فايقن انها تجاذبه الحديث وهى لا تدري ، أو وهى تدري » (280) .

وجاءت شبه جملة على الاثبات والنفي مما ، وذلك :

— « .. وقال وكرّر القول — بداع وبلا داع — إنّ اسبابهما قد انقطعت الى الابد » (281).

ويخيل إلي أن النفى والاثبات ، من جهة وقوعهما حالا ، سيّان ؛ ذلك انهما يخضعان لمثل الشروط المتقدمة. ولعل مما يؤيد أن الاثبات كالنفى ، فى الحال ، اننا لو رجعنا الى الامثلة التى وقعت فيها الحال منفية ورددناها الى الاثبات ، على وجه التحكّم، لوجدنا الاثبات فى كثير منها مستهجنا .

ومن امثلة ذلك ، وهى امثلة نستخرجها مما تقدم ونسوقها على وجه المقابلة :

1) النفي : « تطع حافظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي لا يدخل فى نظام ، ولا يصبر على جهد .. » (282) .

*) الإثبات : « تطع حافظ مراحل عمره على هذا المنهج البوهيمي .. يدخل فى نظام .. »

2) النفي : « كان يزرع محاصيل الشتاء فى الصيف والشتاء يعمل على مدار العام لا يكلّ ولا يفتر » (283) .

*) الإثبات : « كان يزرع محاصيل الشتاء فى الصيف والشتاء يعمل على مدار العام . يكلّ .. »

3) النفى : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد لا اتركها » (284)

*) الاثبات : « اندفعت ففتحت باب السيارة وألقيت بنفسي منها ، ويدي بيد يعاد .. اتركها »

4) النفى : ولكن طيفك كان يغيب
وراء المدى صامتا لا يجيب (285)

*) الاثبات : ولكن طيفك كان يغيب
وراء المدى صامتا .. يجيب

---

278) زقاق المدق ص 137
279) فيض الخاطر 15/10
280) زقاق المدق 140
281) زقاق المدق 232
282) المختارات السائرة 242
283) بندرشاه ضو البيت 134
284) الوقائع الغريبة 181
285) وجدتها 34

5) النفي : « تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة لا تبخل على واحدة بخيمة ظلّ .. أو سرير ورق أخضر » (286)

*) الاثبات : « تفتح زنودها لمئات العصافير الزائرة .. تبخل على واحدة بخيمة ظل .. أو سرير ورق أخضر ».

وهذا غيض من فيض ، نجتزىء به مجانبة للتكثر والاطالة .

خاتمة :

وربما يظهر للقارىء العربى ، وقد فرغ من عرض القضية ووقف على أمثلتها فى الاستعمال ، أن المسألة ، مسألة وقوع الحال نفيا ، مفروغ منها ، وان التحقيق فيها من لزوم ما لا يلزم . ولكن الحق أن المسألة تبدو للخاطر الاول وفى حدود ضيقة من التحكم ، على وجه المقابلة ، قابلة لرجع النظر تحقيقا .

وهكذا تتبدد الدهشة العابرة التى تعتري السامع لملاحظة أن الحال لا تقع منفية فى قولنا : جاء .. لا يبكى ، حين نضعه على وجه التحكم بازاء : جاء .. يبكى ، أقول : تتبدد تلك الدهشة اذا نحن نظرنا الى ذلك القول فى سعة المتغيرات التى تلابسه فى موقف الاستعمال .

ويدفع هذه الدهشة بصورة حاسمة ما نعرف من أمر القياس فى العربية . وذلك أن الظاهرة قد تدخل فى حدّ الغلبة حتى يستوي لها قياس لا مراء فيه ولكن بعض أمثلتها يظل خارج دائرة الالف والسماع. ومن ذلك ، مثلا ، أن (مفعول) قياس فى اسم المفعول من الثلاثي ، ولكننا نُصاب بمثل تلك الدهشة من قول أحدهم : مجعول !

بل إنّ وقوع الحال مثبتة فى بعض الامثلة النمطية أو الموضوعة على وجه التحكم يبدو مستهجنا غير سائغ ، ويكون النفى هو الوجه كأنه لا وجه غيره ، وذلك فى مثل قولنا :

— صمد (..) لسيف الجلاّد لا يرفّ له جفن ؛

فلو أن أحدا جاء بجملة الحال على الاثبات ما استقام له ذلك بل كان استهجانُ الاثبات هنا أشدّ من النفي فى قولنا المقتضب : جاء لا يبكي .

ويبدو لنا من وجه مقابل فى طرح المسألة انه لو عرضنا امثلة الحال المنفية مما تقدم استقصاؤه فى النصوص واستطنا النفي منها لوجدنا مجيء الحال مثبتة فى كثير من تلك الامثلة مستهجنا تماما .

286) نقدات عابر 70

ثبت المصادر والمراجع

ا ــ في القواعد :

اسرار العربية ، لابن الانباري ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق 1377 ــ 1957 .

الاصول في النحو ، لابن السراج ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، النجف الاشرف 1973 .

الامالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد 1349

اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة 1375 ــ 1956 .

بدائع الفوائد ، لابن قيّم الجوزيّة ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر .

التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ، القاهرة 1386 ــ 1966 .

خزانة الادب ، للبغدادي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1349 هـ .

شرح الاشموني ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى 1375 ــ 1955 .

شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة الطبعة الثامنة 1380 ــ 1960

شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة 1381 ــ 1961

شرح الكافية ، للرضيّ الاستراباذي ، 1275 هـ

الفعل : زمانه وابنيته ، لابراهيم السامرائي ، بغداد 1386 ــ 1966 .

في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) ، لمهدي المخزومي ، الطبعة الاولى ، القاهرة 1386 ــ 1966

كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، القاهرة 1966 ــ 1975 .

مذكرات في قواعد اللغة العربية ، لسعيد الافغاني ، الطبعة الثالثة ، مطبعة جامعة دمشق .

كتاب مشكل اعراب القرآن ، لمكي بن ابي طالب القيسي ، تحقيق ياسين السواس ، دمشق ، 1394 ــ 1974

مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله ، مراجعة سعيد الافغاني ، دار الفكر الحديث ــ لبنان .

المفصل ، للزمخشري ، طبعة (بروخ)

المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة 1385 ــ 1388 .

النحو الوافي ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، 1963 .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، الطبعة الاولى 1327 هـ .

ب ــ في النصوص :

أحوال التربية والتعليم في الاراضي المحتلة ، اعداد بكر تنيرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة 1973 .